University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الرابع والعشرون – 25 / يوليو (2017)

مملكة بني الخطاب

د. أم العز عبد القادر محمد الشريف

(أستاذ محاضر قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة طبرق- ليبيا)

الملخص :

يعد موضوع ((مملكة بني الخطاب)) من المواضيع التي تحتاج إلى خوض دراستها وبحثها للوصول إلى حقيقة تاريخ هذه المملكة الذي دام لقرنين من الزمان، على مساحة جغرافية واسعة خرج عن نطاق حدود مدينتها – عاصمتها، ليشمل عدة مدن وصلت إلى حدود بلاد السودان .

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يمثل حقبة زمنيه كبيرة وقعت أحداثها على مساحة جغرافية مهمة تعد حلقة الوصل بين الشمال – بلاد المغرب، والجنوب – بلاد السودان، والمشرق والمغرب، شهدت فيها تطورات سياسية أثرت في تطور الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فيها .

وتهدف الدراسة إلى توضيح خفايا تاريخ هذه المملكة والتي اقترن تاريخها بإقليم برقة وطرابلس وفزان وسرت، وذلك لان معظم المؤرخين اهتموا بدراسة المراكز الرئيسية والعلمية الشهيرة في بلاد المغرب، وأهملوا تاريخ تلك المملكة رغم من شهدته من تطورات سياسية وعمرانية واقتصادية وثقافية، وما وصلنا من تلك الدراسات مجرد مقتطفات يشوبها الكثير من الغموض والضياع للكثير من تاريخ تلك المملكة الإسلامية، فلعل هذه الدراسة تساهم في فتح الباب للدارسين والباحثين في خوض غمار الكشف عن تاريخ هذه الاسرة المالكة التي لا يزال تاريخها غامضاً رغم الدراسات البسيطة حولها والغير أكاديمية، ومن هنا تأتي صعوبة الولوج في بحث هذا الموضوع الشاق من حيث تتبع الأحداث طوال فترة قرنين من الزمان.

واتبعت في البحث المنهج التاريخي السردي لسرد بعض الروايات التاريخية والوصف والتحليل والترجيح للوصول إلى الحقائق التاريخية .

Abstract

The subject ((Kingdom of Bani speech)) of subjects that need to go to be studied and researched to get to the fact that the history of this kingdom, which lasted for two centuries, over a wide geographical area is out of the limits of her city - its capital, to include several cities reached the limits of the country of Sudan.

The importance of this topic in being an era of time and great place events on the important geographical area is the link between the North - the country of Morocco, and the south - the country of Sudan, the East and the West, where political developments influenced the development of economic, social and cultural conditions which have seen.

The study aims to clarify Khvaya the history of the Kingdom, which combined with its history province of Cyrenaica, Tripoli and Fezzan and Sirte, because most historians were interested in studying the major scientific centers famous in the Maghreb, and ignored the history of the Kingdom, despite the experienced political and urban developments, economic, cultural, and what we got from those studies just excerpts marred by a lot of uncertainty and the loss of much of the history of the Islamic Kingdom, so perhaps this study contributes to open the door for students and researchers in the fight in disclosure of the history of the royal family, which is still dating a mystery despite Statistics studies around and nonacademic, hence the difficulty of access to Search this Thread hard in terms of trace events throughout the period of two centuries.

And I followed in search of narrative historical approach to list some of the historical novels, description and analysis and weighting to gain access to the historical facts.

المقدمة

تناولت في هذه الدراسة (مملكة بني الخطاب)؛ وهي مملكة استمر حكمها لما يقارب قرنين من الزمان، وكان مركزها مدينة زويلة عاصمة ملكهم.

وتهدف الدراسة إلى خوض عناصر هذا البحث بالتدقيق والتحليل لأجل توضيح ملامح تاريخ هذه المملكة التي حكمت في حقبة زمنية مهمة في تاريخ بلاد المغرب عامة وتاريخ ليبيا خاصة (برقة – طرابلس – سرت – فزان)، بالإضافة لذلك توضيح الدور التاريخي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه المملكة في العصر الإسلامي كونها شكلت قاعدة إسلامية مهمة في منتصف العصر الإسلامي وحتى بداية العصور الوسطى، أي منذ حوالي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وحتى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

أهمية هذا الموضوع جاءت من أهمية الرقعة الجغرافية التي قامت على أركانها هذه المملكة، حيث تتمتع بطبيعة الإقليم الصحراوي وبموقع جغرافي مميز يشمل مساحة واسعة، جعلت منه همزة وحلقة وصل بين أقاليم الساحل _ البلاد المغرب وبين مدن بلاد السودان، حيث وصفت مدينة ملكهم ببوابة بلاد السودان، ويضاف لذلك ان طول مدة حكمهم يدل دلالة واضحة على حرص وجدارة الحكومات المتعاقبة على سدة السلطة في فرض سيطرتها على مدن مملكتها حتى امتد نفوذها إلى ودان ومدن فزان، حتى أضحت إقليماً سياسياً جمعت الأوضاع الجغرافية أركانه تحت سيطرة ملوكها، فأنعكس ذلك على استقرار الأوضاع السياسية وتطور الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ورغم أهمية هذا الموضوع الا أنه عانى الكثير من الاهمال والغموض ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام المؤرخين والرحالة والجغرافيين العرب بالمراكز السياسية والثقافية المهمة في بلاد المغرب والمشرق على حد سواء، ولعل البعد الجغرافي والمناخ الصحراوي، ساهم في صعوبة الاهتمام بدراسة هذه المدن، رغم وقوعها على طرق القوافل التجارية التي تربطها ببلاد المغرب ومن ثم إلى الشرق.

ويهدف البحث إلى دراسة الموضوع دراسة أكاديمية، رغم شح الروايات الواردة في كتب التاريخ والجغرافيا والرحالة العرب إلا أنيآثرت خوض غماره لعله يكون باباً من الأبواب التي ساهمت في دراسة هذا الموضوع وإزالة الغموض من حوله لنصل إلى دراسة تساعد جهود الباحثين اللاحقين والمهتمين بدراسة تاريخ بلادنا، للكشف عن الحقائق التاريخية والسياسية عن مملكة بني الخطاب، والتي ساهم بُعد فترتها التاريخية في ضياع واهمال تاريخها، رغم نشأتها منذ وقت مبكر من التاريخ الاسلامي.

واعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي السردي لتلك الروايات الواردة عن تاريخ هذه المملكة، والمنهج التحليلي للروايات للوصول إلى أرجح الحقائق حول تاريخها.

وقسمت الدراسة في ضوء ما توفر لدي من مادة علمية، إلى ثلاثة عناصر فضلاً عن مقدمة وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع، العنصر الاول: نبذة جغرافية وتاريخية عن عاصمة مملكة بني الخطاب، والثاني: مملكة بني الخطاب، والثالث: بعنوان نهاية حكم مملكة بني الخطاب.

نبذة جغرافية وتاريخية عن عاصمة مملكة بني الخطاب :-

اتخذ ملوك بني الخطاب من مدينة زويلة مركزاً لحكمهم وسلطتهم ، وتقع مدينة زويلة وسط الصحراء وهي أول حدود بلاد السودان([1]).مقابل أجدابية في البر، وتعد مدينة كبيرة وقديمة وأزلية في الصحراء ([2])؛وينطق أسمها بفتح الزين وكسر الواو واللام ساكنة([3]).

وهناك مدينتان عرفتا بنفس الأسم، الأولى : زويلة بلاد السودان- وهي موضوع البحث؛ وسميت بهذا الأسم نسبة إلى قبيلة زويلة وهي أحد بطون هوارة، كانت تقيم بين برقة وفزان وبلاد السودان وزويلة, وارتحل معظم رجال القبيلة مع القائد جوهر الصقلي عند ذهابه إلى مصر، وناصرت هذه القبيلة الفاطميين وقد سُمي باب عظيم من أبواب القاهرة بأسمهم وهو باب زويلة (4)، والثانية زويلة المهدية تقع على الساحل الشرقي لإفريقية، بناها الخليفة عبيد الله المهدي مقابل المهدية سنة (305هـ / 917م)، واتخذها سكناً للعمال(5).

أرسل عمرو بن العاصي لفتحها القائد عقبة بن نافع الفهري، وتم الفتح الأسلامي لها سنة (21هـ/ 642م)، ودخلها المسلمون صلحاً أي دون قتال، وعين عليها عقبة بن نافع العمال وضبط أمورها واستقام حالها(6).

أما عن الحياة الاقتصادية للمدينة فقد شهدت تنوعاً للموارد الاقتصادية، حيث اشتغل سكانها بالزراعة والرعي، وبخاصة زراعة النخيل والحبوب والشعير والذرة (7)، وعرف أهل المدينة الري بالأمطار والعيون والآبار، ولأن مناخ المدينة صحراوي ويتصف بالجفاف والحرارة(8)، فإن أهلها اعتمدوا في ري محاصيلهم على العيون والآبار(9)، واستخدموا (الفقارات) في الري وهي سلسلة من الآبار تحفر على طول خط انسياب المياه الجوفية تحت الأرض(10).

أما عن الرعي فقد امتلك أهل زويلة قطعاناً من الماشية، ومن جلودها صنعوا الجلود المعروفة باسم – الجلود الزويلية(11)، وساعدت طبيعة المدينة على تربية الجمال واستخدموها في الزراعة والرعي والحراسة فضلاً عن التجارة(12)، فقد كان ملوك زويلة من بني الخطاب يمتلكون قوافل كبيرة من الجمال(13)، أما عن الحرف والصناعات فقد ظلت حتى نهاية حكم أسرة بني الخطاب بسيطة وتعتمد على الثروة الزراعية والحيوانية والمعدنية(14)، ولعل السبب في ذلك يعود لغلبة النشاط التجاري على المدينة(15) .

عرف أهلها صناعة الاوعية المصنوعة من السعف، وصناعة بعض المعادن من الفضة والنحاس والحديد وحتى الذهب استخدموه في الزينة, وكذلك صنعوا الفؤوس والمناجل(16)، والسيوف والرماح والسكاكين هذا إلى جانب صناعات أخرى كالدلاء التي يستعملونها في رفع مياه الآبار، وكانت تسمى بالخطارة والأنجفة(17)،

وأهم صناعة اشتهرت بها زويلة صناعة الجلود التي عُرفت في مصر وبلاد المغرب (بالجلود الزويلية)([18])، وأصبحت زويلة مركزاً من مراكز الدباغة وكانت مدا بغها خارج المدينة وقد لاقت رواجاً لجودتها العالية في الاسواق المصرية([19]).

وعرف سكانها حياكة الثياب القصيرة الحمراء والتي كانوا يستبدلونها مع تجار غانا بالرقيق الأسود (العبيد)([20]).

شكلت التجارة عصب الحياة الاقتصادية للمدينة والموارد المالي والاقتصادي الأهم لزويلة، وخاصة تجارة الرقيق منذ ما قبل الإسلام واستمر حتى حكم ملوك بني الخطاب، وساعدها في هذا النشاط التجاري عدة عوامل أهمها: امتلاك المدينة عدداً وافراً من الجمال، فقصدتها القوافل التجارية للتزود منها بما يحتاجونه من المؤن ثم التوجه إلى بلاد السودان ([21])، كذلك ساهم موقعها الجغرافي في زيادةنشاطها التجاري، فهي بوابة الدخول لبلاد السودان ([22])، وهمزة الوصل بين المحطات التجارية البحرية الأخرى كطرابلس وسرت ([23])، كما كان لوفود تجار المشرق ومصر واستقرارهم في المدينة أثره على نشاط التجارة فيها([24]).

اهتم أهل زويلة بحراسة أسواقهم وحمايتها، لأن المدينة غير محاطة بسور، وكانت طريقتهم في الحراسة بأن يركب الحارس ليلاً جملاً يشد عليه حزمة كبيرة من جريد النخيل يقوم بجرها على الأرض، فإذا أصبح الصباح لاحظ الآثار الموجود على الرمال فيعملون على متابعة الهارب والامساك به سواء كان لصاً أو عبداً أو جملاً([25])، كل ذلك ساهم في استقرار أمنها فأنعكس على ازدهار الحياة التجارية، ففصدها تجار من خراسان والبصرة والكوفة واستقروا فيها ([26]).

توج هذا النشاط التجاري بأن صكت العملة الذهبية في زويلة سنة (414 هـ / 1023م)([27])، وذاع صدى تجار زويلة، ودقت الطبول لتجارتهم في أسواق غانا، فحين يرون قوافل الزويليين يهتفون : زويلة زويلة([28]).

نستخلص مما سبق أن الحياة الاقتصادية لزويلة اعتمدت على الزراعة والصناعة والتجارة، ومثلت التجارة المورد الاقتصادي الذي فاق الزراعة والصناعة، وحققوا ارباحاً كثيرة وخاصة تجارة الرقيق الاسود الذي نقلوه من بلاد السودان إلى بلاد المشرق والمغرب .

مملكة بني الخطاب :

- **أصلهم:-** هناك اختلاف وخلطفي الروايات الواردة عن أصل ملوك بني الخطاب ونسبهم ومدة حكمهم والمدن التي خضعت ودانت لسيطرتهم، وهناك من الجغرافيين والرحالة والمؤرخين لم يذكروا شيئً عن اسمهم أو حكمهم وانما اكتفوا بذكر عاصمة ملكهم مدينة زويلة ومنهم؛ البكري([29])، الذي لم يذكر شيئً عن أسم هذه المملكة بشكل صريح عند حديثه عن مدينة زويلة وما جاورها من المدن

الأخرى، وعلى الرغم من طبيعة كتابة المختصرة (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب)، الا أنه امدنا بمعلومات مهمة حول مستوى الحياة الاقتصادية في المدينة وعمرانها وبعض عاداتها، كما زودنا برواية عن المستوى الثقافي لبعض سكان المدينة وذكر بأن فيها فقهاء وقراء وشعراء([30])، ولعل السبب في ذلك يعود إلى اهتمام البكري بالأوضاع الجغرافية.

ويقول ابن حوقل عنهم؛ "... وهم بنو الخطاب ملوك مزاتة وهم من مزاتة أنفسهم، وسيد بني الخطاب اليوم أبو عبد الله مبارك بن عيسي بن خطاب بزويلة، مطاع في أدانيه وأباعده ورهطه بنو مزليكش وفيهم المملكة وهم آل خطاب علية مزاتة "([31]).

أما الأدريسيفقد ذكر شئً عنهم عند حديثه عن مدينة زويلة وروى أن "... مدينة زويلة بناها عبدالله بن خطاب الهواري وسكنها هو وبنو عمه سنة ست وثلاثمائة وهي منسوبة إلى هذا الرجل وبه أشتهر اسمها ..."([32])؛ ويؤيده في ذلك بعض المؤرخين ([33]).

وهذا الخلط بين الجغرافيين والرحالة والمؤرخين العرب حول مملكة بني الخطاب، يرجع إلى ذكر أصولهم بأنهم تارة من قبيلة مزاتة وأخري من قبيلة هوارة؛ وهذا الاختلاف الظاهري في الأصل، نراه بعد التحليل والترجيح متفق وغير مختلف؛ وهذا يفسره لنا قول اليعقوبي : " ... وهوارة يزعمون ان مزاته ولواته كانوا منهم..." ([34]).

فقبيلة هوارة – احد بطون البرانس([35])، تزعمت مدينة زويلة بصفة خاصة([36])، وأقليم فزان عامه([37])، وعاشت قبيلة مزاته من هوارة في زويلة ([38]) وودان([39])وزلة([40])، وكان رجالها في تلك المدن عندما يتعرضون لأي تدخل أو هجوم يفرون إلى مركز سلطتهم زويلة([41]).

وانفرد اليعقوبي برواية أن مدينة زويلة أكثر سكانها من زواتة([42])، ولم تسعفن المصادر المتاحة بين يدي الان عن تحديد أصولهم؛ ولكن من الراجح أن تكون قبيلة زواته هي نفسها قبيلة مزاته، خاصةً وأن اليعقوبي نفسه ذكر بأن مزاته ملاك أرض وذلك منذ القدم([43])، يضاف لذلك ابن حوقل أكد بان زويلة من مدن مزاته العريقة وكانوا مطاعين في أدنى الأرض وأباعدها([44])؛ ووصل نفوذهم حتى حدود بوابة بلاد السودان، حيث عُرفت باسم بوابة بلاد السودان إلى المغرب([45]).

وهكذا يمكننا القول بأن أسرة مملوك بني الخطاب من مزاته مثلها ذكر ابن حوقل([46])،هم أنفسهم مملوك بني الخطاب من هوارة الذين ذكرهم الإدؤيسي([47]).

مدة حكمهم وأحوال مملكتهم :

لم تكشف الروايات التاريخية عن فترة حكمهم بشكل واضح ودقيق، وإنما جاءت مبعثرة بين تلك الروايات، وقد اعتمدت في تحديد فترة حكمهم على المدة الزمنية التي عاش فيها المؤرخون والجغرافيون العرب الذين كتبوا عنها.

بلغت مملكة بني الخطاب أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي([48])، واستمرت حتى نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي([49]).

ويعد المؤسس الحقيقي لها هو أبو عبدالله مبارك بن عيسي بن خطاب من آل خطاب من بني مزليكش عليه مزاته([50])، وآخرهم هو محمد بن خطاب بن عبدالله بن رنفل بن خطاب([51])، في حين يذكره ابن خلدون باسم: محمد بن خطاب بن يسليطن بن عبدالله بن صغل بن خطاب([52])، وبنفس الصيغة عند ابن غلبون([53])، ومهما كان الاختلاف في ذكر الاسماء الا انهم من أصل واحد وهو آل خطاب.

ورغم طول فترة حكم هذه المملكة الذي دام لمدة قرنين من الزمان الا انه لم تمدنا المصادر باسماء ملوك هذه الاسرة بشكل واضح ومنظم، ولكن شواهد قبور هذه الاسرة الموجودة بزويلة وهي عبارة عن أضرحة كبيرة مربعة تعلوها قباب([54])، وعُرفت بإسمهم([55])، تدل على توارث أبناء هذه الاسرة المالكة طيلة فترة ملكهم.

لم يقتصر سلطان حكم ملوك بني الخطاب على حدود مدينة زويلة بل أمتد حتى فزان وودان ([56])،حيث كانت قبائل آجر فزان تدين لهم بالطاعة والولاء ([57]). مما حذا بالإدريسي بان يعمم حدود مدينة زويلة ويجعل منها المدخل إلى بلاد السودان من دون أن يذكر اسم بلاد فزان([58]).

وكانت الحكومة في زويلة في بداية امرها بسيطة تتكون من الحاكم ويعاونه مجلس من الفقهاء ورجال الدين([59])، وكان الحكم فيها وفق الشريعة الإسلامية، طبقاً للمذهب الأباضي([60])، وقد أظهروا واتسامحاً في حكمهم حيث انعكس ذلك على سماحهم بإقامة الحمامات([61])، وانشاء مقابر ضخمة تعلوها قباب تمييزاً لمقابرهم([62]).

شهدت المدن التابعة لملك بني الخطاب انتعاشاً كبيراً مما أنعكس ذلك على الحياة السياسية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث وصفت مدينة زويلة في عهدهم بأنها مدينة عامرة ([63])، وبها جامع وأسواق وحمامات ونخيل وبساط للزرع([64])، ومقصداً للتجار يأتونها بأمتعتهم

وتجارتهم([65])، بل كانت زويلة المصدرة للرقيق الاسود إلى إفريقية ([66])، ويباعون باعداد لا تحصى في زويلة ويرسلون إلى بلاد المغرب ([67])، مما انعكس ذلك على شهرة المدينة تجارتها, حيث كانت تدق الطبول لتجار زويلة في أسواق غانا، وكان تجارها بهتفون حين يرون قوافل الزويليين: زويلة زويلة([68]).

انعكس ذلك الانتعاش الاقتصادي والاستقرار السياسي على مستوى الحياة الاقتصادية بشكل عام، فكان هناك وفرة في الأموال إذا قاموا ملوكها بضرب الدنانير الذهبية في زويلة([69]), وأصبحت المدينة مقصداً لأهل المشرق والمغرب للعيش بها، حيث كان بها أخلاط من أهل البصرة والكوفة وخراسان([70]).

وتمتعت الطبقة الحاكمة بمستوى عال من الترف حتى أن أحد ملوكهم أرسل إلى المنصور بن بلكين الزيري– ثاني أمراء بني زيري، بهدية بمناسبة ختان أبنه حسبما ذكر ابن أبي دينار فيها زرافة وطرف من أثاث السودان وشئ مستكثر([71])، بالإضافة لذلك ميزت مقابرهم عن مقابر العامة، فكانت مقابر ضخمة تعلوها قباب؛ وهي على الطراز الفاطمي([72]).

حرص ملوك بني الخطاب إلى الاهتمام بالأحوال الثقافية في مملكتهم خاصة وبلاد المغرب عامة، فقد كانت مجالسهم مقصداً للعلماء من الداخل والخارج وأجرو الارزاق والمنح لهم([73])، حيث تشير بعض الروايات إلى أن الشيخ أبو نوح –أحد علماء الدين من بلاد الجريد؛ عندما وصل إلى زويلة وبصحبته أحد تلاميذه، دخل إلى الملك أبو الخطاب فأكرمه وقربه منه وتلطف إليه([74])، بالإضافة إلى ذلك كانوا حكام بني الخطاب يعقدون المناظرات العلمية بين أئمة العلم والفقه والمذاهب الأخرى في مجالسهم – حتى أضحت باحة للتباري بين آهل العلم يحرص كبار العلماء على حضورها([75]).

كذلك اشتهرت مدينة زويلة في فترة حكمهم حسبما ذكر البكري بأنها بها فقهاء وقراء وشعراء([76])، ومنهم القارئ أبو عبد الله محمد بن الحسن الزويلي (ت 383هـ / 993م)الذي رحل إلى بلاد المشرق والمغرب للدراسة([77])، وأبو بكر أحمد بن أبي بكر الزويلي (ت 1000/391م)؛ وهو من العباد المجتهدين حفظ القرآن وعرف تفسيره([78])، وابن الصغير بن عبدالحق الزويلي (عاش في القرن 6هـ / 12م) وكان حافظاً للقرآن ويقصده طلاب العلم من أقصي البلاد([79])وغيرهم من العلماء.

وبذا يمكنني القول بأن فترة حكم ملوك بني الخطاب شهدت تطوراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وذلك يرجع لعوامل الاستقرار السياسية التي عاشتها مملكتهم أيام فترة سلطانهم.

نهاية حكم مملكة بني الخطاب (نهاية القرن 6هـ / 12م) :-

انتهى عهد مملكة بني الخطاب، وعاصمة ملكهم مدينة زويلة بعد ما دام لقرنين من الزمان، ووصلت حدود مملكتهم سياسياً حتى حدود بلاد السودان([80])، وكانت نهايتها على يد القائد قراقوش([81])، الذي قام بقيادة حملة على إفريقية الولاء فيها لصلاح الدين الايوبي، ولأبن أخية نقي الدين، وافتتح البلدان الواحدة تلو الاخرى، حتى دخل فزان وقضى على مملكة بني الخطاب الهواريين وقاعدة ملكهم زويلة – المعروفة بأسمهم سنة (568هـ / 1173م) وقام بتعذيب قراقوش ملكها محمد بن خطاب بن يسليطن بن عبدالله بن صنغل بن خطاب – على مال يعتقد قراقوش أن محمد بن الخطاب قد خبأه، حتى هلك وخطب فيها لصلاح الدين الأيوبي وتقي الدين([82])، وعاث قراقوش في مملكتهم فساداً حتى أصبحت تلك البلاد تعاني من فراغ السلطة، صارت مطمعا لملك كانم([83])، الذي تمكن من استغلال تلك الاوضاع في الزحف على ذلك الإقليم ومن ثم السيطرة على مدينتهم زويلة وفزان وودان([84]).

وبهذا اسدل الستار على حكم هذه المملكة والتي ساهمت في انعاش الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، رغم الآهمال والغموض التي شاب تاريخيها رغم طول فترة حكمها.

وبذا يمكننا القول أن مملكة بني الخطاب التي استمر حكمها قرنين من الزمان من القرن الرابع الهجري وحتى القرن السادس الهجري, كان لها الدور الكبير في وحدة إقليم فزان وعاصمته زويلة, وكذلك ساهمت في توحيد أركانه اجتماعياً وثقافياً على مبادئ وثوابت الدين الاسلامي .

الخاتمة

بعد دراستي لموضوع (مملكة بني الخطاب) توصلت إلى عدة نتائج منها:-

1- نشأت مملكة بني الخطاب من أصول سكان مدينة زويلة خاصة وعناصر سكان بلاد المغرب عامة، فهي من قبيلة بربرية من احد فروع قبائل البرانس في بلاد المغرب، وتمتعت بمكانة اجتماعية من الاصل والنسب مما جعلهم ملوكاً مطاعين في أدنى الارض وأباعدها كما وصفتهم بعض الروايات .

2- دام حكم هذه المملكة لقرنين من الزمان واتخذوا من مدينة زويلة عاصمة لملكهم؛ مما جعلها تواصل مسيرة الفتح العربي الإسلامي لها، لتكون قاعدة اسلامية وسط الصحراء تشع بنورها على رعاياها مما ساهم في تطورها اجتماعياً واقتصادياً وحضارياً وثقافياً، فأنشأت المساجد والحمامات والاسواق ولمعت شهرة فقهائها وقرائها وعلمائها.

3- لعبت دور حلقة الوصل كونها في وسط الصحراء؛ في الربط بين مدن بلاد المغرب والمشرق وبلاد السودان، مما أدى إلى تطور الحياة الاقتصادية وتميز حكامها بمستوى عال من الترف ومظاهر الملك حتى ذاع صيتهم في دول بلاد المغرب عامة، فساهمت بذلك في استقطاب عناصر سكانية آحرى تقصد مدينتهم للعيش فيها والاختلاط والانصهار مع عناصر السكان المحليين، فكان لذلك أثره في زيادة قوة الطابع العربي الاسلامي عليها.

4- استفاد حكام مملكة بني الخطاب من المقومات الطبيعية والاقتصادية في النهوض بحكم مملكتهم مما ساهم في طول فترة حكمهم لهذه المملكة.

5- رغم اهمية تاريخ هذه المملكة الا اتها تحتاج للمزيد من الدراسات الاكاديمية للكشف عن خبايا تاريخها الذي لا يزال مدفوناً إما في المخطوطات أو تحت الأرض، وفي مكتبات خاصة، أو أندثر بعضها بسبب الاحوال الجغرافية، واهمال الحكومات المتعاقبة لدراسة تاريخها.

6- لم تقف هذه المملكة امام حركة التعريب التي شهدتها بلاد المغرب، بل ساهمت في استقطاب العلماء وطلاب العلم ليرتقوا بالحياة العلمية في مملكتهم مما ادي إلى نبوغ عدد من علماء مملكتهم واشتهروا باسم عاصمتهم، فساهم ذلك في تعريب البلاد حتى نسوا لغتهم القديمة وتحدثوا بالعربية فصارت بذلك منارة علمية في وسط الصحراء.

هوامش البحث :-

(1) ابن حوقل، صورة الأرض، (مطبعة بريل، ليدن، 1938م)، ص93.

(2) مجهول، الاستبصار(طبعة جامعة اسكندرية، 1958م)، ص5-6.

(3) ياقوت الحموى، معجم البلدان (دار صدر، بيروت، 1991م)، ج2، ص96.

(4) ابن خلدون، العبر(مؤسسة جمال للطباعة، بيروت، 1979م)، ج6، ص145؛ محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية (دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م)، ص72.

(5) أبو الفداء، تقويم البلدان (دار صادر، بيروت، 1840م)، ص147.

(6) البلاذرى، فتوح البلدان (دار المعارف، بيروت، 1987م)، ص315؛ الطبري، تاريخ الطبري (دار المعارف، مصر، 1963م)، ج4، ص144.

(7) البكرى، المغرب (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة 1837م)، ص11

(8) جمال الدين الديناصوري، جغرافية فزان (دار ليبيا، بنغازي، 1967م)، ص33-34.

(9) الأدريسي، نزهة المشتاق (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م)مج1، ص112.

(10) جمال الدين الديناصورى، المرجع السابق، ص33-34.

(11) اليعقوبي، البلدان (دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م)، ص183.

(12) البكرى، المصدر السابق، ص11.

(13) محمد سليمان أيوب، تاريخ فزان (المطبعة الليبية، طرابلس، د.ت)، ص90.

(14) ليفتيسكي، دور الصحراء الكبرى (تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، 1977م) مج3، ص323.

(15) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص69.

(16) المرجع نفسه، ص90.

(17) الأدريسي، المصدر السابق، مج1، ص112.

(18) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.

(19) جاك تيري، الصحراء الليبية (ترجمة د.جادالله عزوز الطلحي، اللجنة الشعبية للثقافة، ليبيا، 2004م)، ص638.

(20) البكرى، المصدر السابق، ص11.

(21) المصدر نفسه، ص10.

(22) الأدريسي، المصدر السابق، مج1، ص312-313.

(23) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(24) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.

(25) البكري، المصدر السابق، ص11.

(26) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.

(27) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص90.

(28) البكري، المصدر السابق، ص183.

(29) المصدر نفسه، ص10-11.

(30) المصدر نفسه والصفحة.

(31) صورة الأرض، ص106.

(32) نزهة المشتاق، مجلد1، ص116.

(33) التيجاني: رحلة التيجاني (تحقيق: حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م)، ص112؛ الحميرى: الروض الممطار (تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر، القاهرة: 1980م)، ص295-296؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص143؛ ابن غلبون: التذكار (تحقيق: الطاهر الزاوي، المدار الإسلامي، بيروت، 2004م)، ص98.

(34) البلدان، ص184.

(35) البرانس: سكان المدن _ الحضر، وتجمعهم سبعة أجذام ومن ضمنهم أوريغة (هوارة)، للمزيد أنظر : ابن خلدون: العبر، ج6، ص177-179: وغير ذلك من كتب النسابة.

(36) ليفتيسكي: دور الصحراء، ص321-322.

(37) اليعقوبي، المصدر السابق، ص184؛ ابن غلبون، المصدر السابق، ص93-105.

(38) ابن حوقل، المصدر السابق، ص106؛ الادريسي، المصدر السابق، ص116.

(39) اليعقوبي، المصدر السابق، ص184.

(40) البكري، المصدر السابق، ص12.

(41) جاك تيري، المرجع السابق، ص541.

(42) البلدان، ص183.

(43) المصدر نفسه والصفحة.

(44) صورة، ص106.

(45) الادريسي، المصدر السابق، ص116.

(46) صورة، ص106.

(47) نزهة، ص116.

(48) ابن حوقل،المصدر السابق، ص106.

(49) الادريسي، المصدر السابق، ص116؛ التجاني، المصدر السابق، ص110.

(50) ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

(51) التيجاني، المصدر السابق، ص112.

(52) العبر، ج6، ص143.

(53) التذكار، ص98.

(54) غاسبريميسانا: المعمار الاسلامي في ليبيا(ترجمة، على الصادق، دار الرواد، طرابلس، 1996م، ص185-186.

(55) المرجع نفسه والصفحة.

(56) شكلت مدن زويلة وفزان وودان إقليماً موحداً مركزه مدينة زويلة في عهد ملوك بني الخطاب، إذا وحدته الظروف الجغرافية حيث يمثل إقليماً طبيعياً صحراوياً يمتد من جنوب سرت حتى حدود بلاد السودان، رغم مرور تلك المدن بتطورات سياسية منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية القرن السادس الهجري، حيث كانت مدينة زويلة وودان يتبعان سياسياً إقليم برقة، وتارة تتبع ودان إقليم سرت إلا أن التغيرات السياسية التي شهدتها بلاد المغرب وبرقة وطرابلس وفزان وسرت وزويلة جعلها تتغير وفق القوى السياسية التي تسيطر عليها، إذا ملوك بن الخطاب يرجع لهم الدور الكبير في انشاء هذه المملكة سياسياً وساعدتهم في ذلك وحدة الاحوال الجغرافية لمدن الصحراء مستغلين الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تكوين مدن مملكتهم .

للمزيد أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص183؛ البكري، المصدر السابق، ص10-11؛ ابراهيم أحمد زرقانة: جغرافية المملكة الليبية (دار النهضة العربية، مصر، 1961)، ص50-64، صالح مصطفي المزيني: ليبيا (الدار العربية للنشر والتوزيع، طبرق، 2002م)، ص30-32.

(57) ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

(58) نزهة، مجلد1، ص ص116-313.

(59) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص89.

(60) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.

(61) البكري، المصدر السابق، ص11

(62) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص89.

(63) المصدر نفسه والصفحة.

(64) ياقوت الحموى، معجم المصدر السابق، ج2، ص960.

(65) الادريسي، المصدر السابق، ص313.

(66) البكري، المصدر السابق ، ص11.

(67) الادريسي، المصدر السابق، ص110.

(68) البكري: المصدر السابق ، ص183.

(69) محمد سليمان أيوب: المرجع السابق، ص90.

(70) اليعقوبي، المصدر السابق، ص183.

(71) المؤنس، (التحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1387هـ)، ص7.

(72) محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص89.

(73) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي(دار الجيل، بيروت، 2011م)ج2، ص263-265.

(74) الشماخي: كتاب السير(تحقيق: محمد حسن، المدار الإسلامي، 2009م)، ج2، ص536-542.

(75) أبوزكريا : السيرة واخبار الأئمة (تحقيق: عبدالرحمن أيوب، الدار التونسية، 1981م)،ص 335-336.

(76) المغرب، ص11.

(77) النائب الأنصاري: المنهل العذب، ص92.

(78) الطاهر المهدي عريفة : تاريخ فزان الثقافي (منشورات مركز جهاد الليبيين، ليبيا، 2010م)، ص177.

(79) عبدالله بن كنون: النبوغ المغربي (طنجة، 1960م، ج1، ص204-205.

(80) الإدريسي: المصدر السابق، ص116.

(81) قراقوش: قائد أرمني مملوك لتقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، أرسله تقي الدين على راس جيش من مماليكه واجنادة إلى بلاد المغرب، فكثرت حروبه وتوسعاته فيها وزاد خصومه، الذين تمكنوا من القضاء علبه وقتله في مدينة ودان سنة(609 هـ / 1212م) على يد يحي الميورفي وقبائل بني دباب من بني سليم، أنظر: التجاني: المصدر السابق، ص110؛ ابن غلبون : المصدر السابق، ص93-108.

(82) المصدر نفسه، ص98.

(83) كانم : قضبة إقليم كوار، وهي ناحية واسعة جنوب فزان، وتعد بوابة بلاد السودان للدخول إلى بلاد المغرب عن طريق مدن إقليم فزان وأهمها مدينة زويلة، أنظر: الادريسي: المصدر السابق ص27-112-312؛ ياقوت: المصدر السابق، ج8، ص123، الحميري : المصدر السابق، ص312.

(84) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا (تحقيق اسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، 1970م)، ص127، ابو الفداء: المصدر السابق، ص126.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر:-

(1) ابوبكر يا (يحي ابي بكر، ت منتصف ق 4هـ / 10م): السيرة وأخبار الائمة (تحقق عبدالرحمن ايوب، الدرار التونسية، 1981م) .
(2) أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل، ت 732هـ / 1330م) : تقويم البلدان (دارصادر، بيروت 1984م).
(3) ابن ابي دينار (ابو عبدالله محمد، ت 1092هـ / 1681م) : المؤنس في أخبار إفريقية والمغرب (تحقيق : محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1387 هـ).
(4) الأدريسي (ابو عبدالله، ت 558هـ / 1162م) : نزهة المشتاق في اختراق الافاق (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م).
(5) البكري (ابو عبيدالله عبدالله، ت 487 هـ / 1094م) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1837م).
(6) البلاذرى (أحمد بن يحيى، ت 279هـ / 892م) : فتوح البلدان (تحقيق: أنيس الطباع، دار المعارف، بيروت، 1987م).
(7) التيجاني (عبدالله محمد، ت 707 هـ / 1307م) : رحلة التيجاني (تحقيق : حسن حسنى، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م).
(8) الحميري (محمد بن عبدالله، ت ق 9هـ / 15م) : الروض المعطارفي خبر الأقطار(تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر، القاهرة، 1980م).
(9) ابن حوقل (ابو القاسم، ت 380 هـ / 990م) : صورة الارض (دار صادر، بيروت، 1938م).
(10)ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد، ت 808 هـ / 1405م) : العبر (مؤسسة جمال للطباعة، بيروت، 1979م).
(11)ابن سعيد (على بن موسى، ت 685 هـ / 1286م) : كتاب الجغرافيا (تحقيق اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1970م).
(12)الشماخي (ابو العباس احمد، ت 928 هـ / 1522م) : كتاب السير (تحقيق: محمد حسن، المدار الاسلامي، بيروت، 2009م).
(13)الطبري (ابوجعفر محمد بن جرير، ت 310 هـ / 922م) : تاريخ الطبري (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، 1963م).
(14)ابن غلبون (ابو عبدالله محمد، من علماء القرن 12 هـ / 18م) : التذكار فيمن ملك طرابلس الغرب (تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، المدار الاسلامي، بيروت، 2004م).
(15)مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن 6 هـ / 12م) : الأستبصار في عجائب الامصار (تحقيق : سعد زغلول، طبعة جامعة الاسكندرية، 1958م).
(16)النائب الانصاري (احمد بن حسين، ولد تقريباً 1256 هـ / 1840م) : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب (مطبعة جمال أفندي، مصر، 1897م).
(17)ياقوت (شهاب الدين، ت 626 هـ 1228م) : معجم البلدان (دار صادر، بيروت، 1999م).
(18)اليعقوبي (احمد بن أبي يعقوب، ت 284 هـ / 897م) : البلدان (تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م).

ثانياً :- المراجع العربية والمعربة :-

1- ابراهيم أحمد زرقانة : جغرافية المملكة الليبية (دار العربية، مصر، 1964م) .
2- تاديورليفتيسكي : دور الصحراء الكبري واهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب (كتاب تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، مجلد 3، 1977م).
3- جاك تيري : تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى (ترجمة : جاد الله عزوز الطلحي، اللجنة الشعبية الثقافة والاعلام، ليبيا، 2004م).
4- جمال الدين الديناصوري : جغرافية فزان (دار ليبيا، بنغازي، 1967م).
5- حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي (دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 15، 2001م).
6- صالح مصطفي مفتاح المزيني : ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (الدار العربية للنشر، طبرق، ليبيا، 2002م).
7- الطاهر المهدي عريفة : تاريخ فزان الثقافي والاجتماعي (متورت مركز جهاد الليبية، ليبيا، 2010م).
8- عبدالله بن كنون: النبوغ المغربي في الادب العربي (طنجة، 1965م).
9- غاسبريميسانا : المعمار الاسلامي في ليبيا (ترجمة : على الصادق حسن، دار الجيل، بيروت، دار الرواد، طرابلس، ط، 1998م).
10-محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان (المطبعة الليبية، طرابلس، د.ت).